٢ - كلمة الأستاذ عبد الهادي هاشم

في تقديم الزميل الجديد الدكتور شاكر الفحام

السيد وزير التعليم العالي ، السيد وزير الثقافة في الجمهورية التونسية ، السادة وزراء الدفاع والثقافة والسياحة ، سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي الرصفاء أعضاء المجمع ، سيداتي ، سادتي :

ما أعظم ، غبطتي ، وما أشد فرحتي إذ أستقبل اليوم باسم المجمع صديقاً كريماً عرفته منذ لواذ سبعة وثلاثين عاماً ، فما زادني كرّ الأيام ومرّ الأعوام إلا إعظاماً لعلمه وخلقه ، وإكباراً لفضله ونبله ، وقدْراً لفطانته وزكانته ، ولستُ بدعاً في هذا الشعور ، فما لقيه أحد ممن يعرفون الرجال أقدارهم إلا أعْجِب بسعة ثقافته ، وعمق تفكيره ، ورحابة أفقه ، ونفاذ بصيرته ، ومتانة خلقه ، وتمكنه من العربية وآدابها وعلومها وتراثها وتاريخها ....

أرحب اليوم بالدكتور شاكر الفحام رصيفاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية وركناً مكيناً للعربية فيه ، يعتمد عليه ويوثق به وتناط به آمال الغيُر كلّ الغير على تراثنا وقوميتنا ولغتنا .

أيها السيدات والسادة :

عرفتُ الزميل الكريم وكان لا يزال في نضارة الشباب وغضارة العود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فراعني جدّه وعلمه ، ونباهته وخلقه ، وتوسمت يومئذ أنْ سيكون لهذا الفتى الواعد شأن في نصرة لغتنا والتمكين لها ، وفي الحفاظ على تراثنا وصونه ونشره وإشاعة ذخائره . وقد حقّقت الأيام ما توسمتُه فيه وما توقّعتُه له ، وإني لأرجو مع ذلك أن يكون غده خيراً من يومه كما كان يومه خيراً من أمسه ، وأن يمضي قُدُماً في ما أخذ به نفسه من إعزاز لعربيتنا وقوميتنا وتراثنا ، وأن يُشَدّ به عضدُ إخوانه المجمعيين في ذلك كله .

وَلَوَدِدْتُ لو لم تمضِ سُنّةٌ للمجامع بتقديم ترجمة للأعضاء الجدد بين يدي استقبالهم ، إذن لأعفيتكم من التحدث عن نشأة زميلنا الكريم وتقدمه في ميادين البحث الأدبي واللغوي والتاريخي ، فما بكم من حاجة إلى شيء من ذلك ، وقد عرفتموه مجلّياً في هذه الحلبات كلها ، كما عرفتموه نصيراً للمجمع حافظاً لرسالته مضطلعاً بنشرها ، أميناً عليها ، قوياً على حملها ، فلأجتزىء بكلمات موجزات ، كتحلّة القسم ، تلخص نشأة رصيفنا الجديد وتومىء إلى بعض آثاره وأخباره :

ولد شاكر الفحام في مدينة حمص عام ١٩٢١ في بيئة وَرِعَة محافظة وفي أسرة عرفت بالتفقه والتَّدَيُّن والصلاح ، فشبّ متمسكاً بآداب دينه ، وأخلاق قومه . وقد تلقى دروسه الابتدائية وبعض الثانوية في مدارس حمص الرسمية ، ثم تحوّل إلى دمشق ليستكمل الدراسة الثانوية فيها ، فلما فرغ منها عُيِّن عام ١٩٤١ معلماً موقتاً في قرية من قرى الجولان الحبيب اسمها (تسيل) . ثم أوفد إلى القاهرة لدراسة الأدب في جامعتها ، فلما نال الإجازة بذلك عاد إلى الشام وطفق يدرّس العربية في ثانويات دمشق وحمص والحسكة . ثم توجه كرّة أخرى إلى القاهرة عام ١٩٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لاستكمال دراساته الجامعية العليا ، فاختار شاعرين من شعراء البصـــرة موضوعاً لرسالته في (الماجستر والدكتوراه) ، فجاءت أولاهمـا عن بشار في قرابة ٤٤٠ صفحة أحاطت — فيما أحسب — بكل ما يمكن أن يقال في هذا الشاعر المجدّد ، ووقعت الثانية عن الفرزدق في ٤٠٠ صفحـة لم تترك زيادة لمستزيد في الحديث عن هذا الشاعر الفحل ، وستمضي السنون تلو السنين قبل أن يضيف البحث العلمي الجادّ شيئاً ذا بال إلى ما جاء به زميلنا الكريم في هاتين الرسالتين ، ولعل اختياره في البدء هذين الشاعرين يجلو لنا إيمانه بوجوب العودة إلى الجذور الأصيلة في آدابنا ، وإيثاره المنابع الصافية الثرّة من تراثنا .

وبعد عودته من القاهرة سُمّي عام ١٩٦٣ مدرّساً للعربية في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وكان عمله هـذا أحبَّ الأعمال إليه ، وأرضاها لنفسه وأقربها إلى هواه ، ولكن ما لبثت الرياح من بعدُ أنْ جرت بغير مـا يؤثر ويشتهي ، فقد بُعِث سفيراً إلى الجزائر حيث أقام زهاء أربعة أعوام وطد فيها دعائم المودة والمحبة بين القطرين العربيين : سورية والجزائر ، وعقد وشائج الصداقة بين رجالاتها ، فلمـا عاد سنة ١٩٦٨ إلى دمشق اختير رئيساً لجامعتها وأستاذاً فيها ، وانتخبه بُعَيْد ذلك أعضـاء المجمع زميلاً لهم فيه ، ثم تقلب بعد رئاسة الجامعة في مناصب وُسِّدت إليه ، فأصبح رئيساً للجنة الثقافية في مجلس الوزراء ووزيراً للتعليم العالي ثم للتربية ... ولا يزال على رأس هذه الوزارة إلى اليوم ، إلى جانب قيامه بتدريس العربية في الجامعة .

على أن هذه المناصب التي تسنّمهـا وما تستتبعه من مشاغل مضنية متعبة لم تصرفه عن هواه الأول : البحث والمطالعة وخدمة العربية ، فهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سفيرٌ في الجزائر ولكنه يتابع العناية بالفرزدق مثلاً ويصنع مقدمة وافية ضافية لديوانه الذي نشره مجمعنا مصوراً عام ١٩٦٥ ، وهو وزيرٌ للتعليم العالي وينشر في مجلة المجمع كتاب (اللامات) ويترجم لمؤلفه أبي الحسين أحمد بن فارس ، ويتحدث عما أُلِّف في اللامات قبله وعن شيوخ المؤلف في نمط من البحث معجب محكم فريد . ويعمل ، وهو وزير للتربية ،على تحقيق أمنية طالما رنا المجمع إلى إنجازها ، وأعني بذلك نشر كتاب (الدلائل في غريب الحديث) لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي ، الذي كان المرحوم الأستاذ التنوخي قد عقد العزم على نشره ، ولكن لم يقيض له الوفاء بما أزمعه ، فيأتي الدكتور شاكر وينشر ، في الجزء الأخير الذي صدر من مجلة المجمع، دراسة وافية في الموضوع ، يستهلها بالكلام على كتب الغريب قبل كتاب ثابت وكيف نشأ علم غريب الحديث ومن هم فرسانه المجلون .... وسيتلو هذه المقدمة إن شاء الله فصولٌ ودراسات ونصوص متصلة بهذا الموضوع لا أحب أن أستبق الحديث عنها قبل صدورها .

حدّثتكم أيها السادة عن زميلنا العالم المحقق ، وأود أن أضيف إلى ما تقدم كلمة عن شاكر والمجمع ، فقد أحب زميلنا الكريم مجمعنا هذا منذ أن شدا شيئاً من العربية ، وقد حدثني مرة أن من أسعد أيامه ذلك اليوم الذي هبط فيه دمشق لاستكمال دراسته الثانوية ، فقد أهْرع إلى الظاهرية التي طالما سمع بها ، وإلى المجمع الذي شدّ ما تاقّ إلى رؤيته ، فكانت العادلية والظاهرية من أحب معالم دمشق إليه ، ولقد ظل لهما وفياً ، وبهما حفيّاً ، ينهل من كنوزهما ويذاكر رجالاتها ويدفع عنهما الأذى ويكشف عنهما الضرّ إذا ما أراد بهما أحد شراً . أذكر أن مشروعاً رفع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى الدولة عام ١٩٦٩رأى فيه القيّمون على المجمع إساءة له وإضراراً بالظاهرية ، وأوجسوا خيفة من عقابيله ، فلجأ بعضهم إلى شاكر ، وكان يومئذ على رأس جامعة دمشق ، كي يعين في دفع النازلة ، فاستجاب لهم ، وتصرف بما عرف عنه من كياسة وسياسة وحنكة ، حتى نجح في طيّ ذلك المشروع . وقد أصبح منذئذ المدافع عن حياض المجمع ، المحامي عن عرينه ، المنتصر له إذا ما تعرّض لعداء حاقد موتور ، أو كره حاسد مقهور .

وبعد فزميلنا الجديد مدرسة في إشراق أسلوبه ، وجمال ديباجتـــه وإحكام نسجه ، وعذوبة بيانه ، وسلامة طبعه . أقرأ لكم نموذجاً من كتابته العلمية قبسته من أول صفحة وقعت عيني عليها في أحد كتبه ، يقول في حديث له عن تمصير البصرة :

« ... ذلك بأن القبائل العربية التي أذن لها أن تسيح في الأرض تعلي كلمة الله وتبشر بالهدى ودين الحق ، لم تلبث ، وقد يُسّر لها الفتح ورُزقت النصر ، أن استوطنت الحواضر ونزلت المدن ورابطت في الثغور ، تثبت دعائم الإسلام وتنشر تعاليمه وتقيم في منازلها الجديدة حياة تلائم مادعت إليه ونادت به ، وكان الخلفاء أمراء المؤمنين ، وعمر بن الخطاب خاصة ، يحضون القبائل على استيطان الحاضرة ، ويؤثرون أهلها على البُداة ، فإذا العرب يملئون البلاد مابين أقصى خراسان إلى إفريقية ليكونوا القوّامين على الدعوة التي ائتمنوا عليها ، وكان عجباً عاجباً أن يستجيب العرب هذه الاستجابة الطائعة ، يتقبلون ما دُعوا إليه ، ويسرعون متحمسين في إنفاذه والعمل به ، وإذا القبيلة الواحدة التي كانت تشدها أواصر العصبية في جاهليتها إلى مواطن متقاربة لتظل قوية بتماسكها ، قد توزعت في الأمصار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المختلفة المتنائية ، لتساكن قبائل أخرى كانت تنازعها ، فإذا هم في الدار الواحدة إخوة يجمعهم الإسلام ، وتظلهم رايته ، ويحميهم شرعه ، وإن المرء ليبهر لهذه المقدرة الفائقة التي قاد بها الخلفاء الأولون حركة الفتوح والاستيطان ، وللمعاني البعيدة التي رموا إليها حين حثوا الناس على إيثار الحاضرة ، وحين فرّقوا القبيلة أجزاءً وجهوا بكل منها إلى وجه من وجوه الفتح ، وحين جعلوا البلد الواحد قسمة بين قبائل شتى ... ثم حين أرسلوا حملة القرآن وصحابة النبي يُقرئون الناس القرآن ، ويعلمونهم أمور الدين ، ويأخذونهم بآدابه ، لتعصمهم العقيدة المتمكنة في النفس أن تنزع بهم نزعات الجاهلية ، وتنأى بهم عن تعاليم الإسلام .... » اه

هذا نموذج ، أيها السادة ، لم أتخيره ولم أتنخله ، قرأته لكم لتروا هذا الطراز المحكم من الأسلوب العربي المبين ما أحوجنا إلى تقيُّله وبثه في أقلام الناشئة من كتابنا وطلابنا .

ولو كان في الوقت متسع لقرأت لكم شيئاً من محاضراته البارعة في الأدب الأندلسي أو الأدب الجاهلي على طلاب الجامعة ، أو أسمعتكم شذرات من بحوثه وتحقيقاته التي بلغت الغاية في التثبت والتمكن والإحاطة ، وفي صحة الحكم ، وإيثار القصد ، والبعد عن الهوى . وإذا قال القدماء في كتب الجاحظ : إنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً فإن لنا أن نقول : إن دراسات شاكر تعلم صحة التفكير ، ودقة النقد ، وجمال التعبير .

وبعد فأعضاء المجمع ، وإن قيل إنهم الخالدون ، كتب عليهم ما كُتب على الذين من قبلهم ، يتعاقبون على حمل الرسالة وأداء الأمانة ، فإذا سقطت الراية من يد أحدهم نهد لها من يمضي إلى إعلائها والسير بها إلى الغاية :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إذا مُقْرَمٌ منّا ذرا حدّ نابه تَخَمَّط فينا نابُ آخر مُقْرَم

ولئن لقي الأمير الشهابي وجه ربه إن لنا في خلفه الدكتور الفحام عزاءً ورجاءً وأملًا .

بورك لأخي شاكر في هذا الحب الذي محضه إياه زملاؤه المجمعيون ، وفي دعوتهم إياه ليكون واحداً منهم في رحاب هذا المجمع ، وبورك لنا ـ نحن المجمعيين ـ بالعضو الجديد يشد عضدنا ، ويشارك في حمل رسالتنا ، ويساهم في الحفاظ على لغتنا وقوميتنا وعروبتنا باقية راسخة خالدة على وجه الدهر . والسلام عليكم ورحمة الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net